الباب الرابع

حكام الأندلس بين القوة والضعف

obeikan.com

obeikan.com

الدولة الأموية في الأندلس

إمارة إسلامية أسسها عبد الرحمن الداخل عام 138 هـ/756 م في الأندلس وأجزاء من شمال أفريقيا وكانت عاصمتها قرطبة، وتحولت إلى خلافة بإعلان عبد الرحمن الناصر لدين الله نفسه في ذي الحجة 316 هـ/يناير 929م خليفة قرطبة بدلاً من لقبه السابق أمير قرطبة،وهو اللقب الذي حمله الأمراء الأمويون منذ أن استقلّ عبد الرحمن الداخل بالأندلس وتميزت الدولة الأموية في الأندلس بنشاط تجاري وثقافي وعمراني ملحوظ، حتى أصبحت قرطبة أكثر مدن العالم اتساعًا بحلول عام 323 هـ/935م،كما شهدت تشييد الكثير من روائع العمارة الإسلامية في الأندلس ومنها الجامع الكبير في قرطبة كما شهدت فترة حكم الأمويين نهضة في التعليم العام، جعلت عامة الشعب يجيدون القراءة والكتابة في الوقت الذي كان فيه علية القوم في أوروبا لا يستطيعون ذلك وقد استمرت الدولة الأموية في الأندلس رسمياً حتى عام 422 هـ/1031م، حيث سقطت الخلافة وتفككت إلى عدد من الممالك بعد حرب أهلية بين

الأمراء الأمويين الذين تنازعوا الخلافة فيما بينهم، مما أدى بعد سنوات من الاقتتال، إلى تفكك الخلافة إلى عدد من الممالك المستقلة.

قضى عبد الرحمن الداخل سنوات حكمه في تثبيت أركان دولته، والقضاء على الثورات الداخلية التي اندلعت في كافة أرجاء الأندلس، كما عمل على تأسيس جيش قوي والاهتمام بالتعمير والتعليم والقضاء، ليترك الأندلس لخلفائه من بعده ولاية مستقرة بعد وفاته، نجح ابنه هشام الرضا وحفيده الحكم الربضي في الحفاظ على وحدة أراضي الدولة، ونجحا في التصدي لمحاولات الممالك المسيحية في الشمال للتوسع جنوباً ورغم ذلك النجاح الخارجي على الصعيد العسكري، إلا أن الدولة كادت أن تسقط إثر ثورة بعض أهل قرطبة على الحكم بن هشام، إلا أنه نجح في القضاء على تلك الثورة الداخلية نتج عن حالة الاستقرار السياسي، أن ازدهرت حركات الآداب والعلوم والعمارة والفن في الأندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم لتبلغ مرحلة متقدمة من المدنية، وأصبحت مركزاً حضارياً كبيراً في غرب العالم الإسلامي وتطورت الدولة عسكرياً، فنجحت في التصدي لمحاولات النورمان لغزو موانيء الأندلس بحراً عام 230 هـ.

كبوة الدولة: في عهد الحاجب المنصور وصلت الدولة الأموية في الأندلس إلى أقصى امتداد لها تلى تلك المرحلة مرحلة من الاضطراب في عهد محمد بن عبد الرحمن وولديه المنذر وعبد الله نتج عن ذلك تعرض الإمارة إلى عدد من الثورات الداخلية من المولدين والمستعربين والبربر وبعض القبائل العربية، التي نجحت في تأسيس إماراتهم شبه المستقلة التي كانت لا تخضع لسلطة الدولة إلا بالاسم بنو قسي وبنو تجيب ومحمد بن عبد الملك الطويل وعبد الرحمن بن مروان الجليقي في الشمال، وأخطرهم عمر بن حفصون الذي تمرد على الدولة في الجنوب إضافة إلى الهجمات الخارجية من النورمان والممالك المسيحية في الشمال في محاولة استعادة الأراضي التي دخلت تحت الحكم الإسلامي وفي ظل حالة التمرد الداخلية والهجمات الخارجية ضعفت سلطة الدولة على أراضيها حتى انحسرت سلطة الأمير عبد الله بن محمد فقط على قرطبة وأحوازها.

عصر القوة بدأ مع تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد الحكم عام 300 هـ، استعادت البلاد وحدتها السياسية وقوتها العسكرية وهيبتها، بعد أن خاض حروباً طويلة استطاع من خلالها استعادة السيطرة على البلاد تحت السلطة المركزية في قرطبة بل وامتدت سلطة الأمويين إلى أجزاء

من شمال المغرب الأقصى الذي تسابق أمرائه في الدخول في ولاء الأمويين وأمام خطر نشأة الدولة الفاطمية في شمال أفريقية، أعلن عبد الرحمن بن محمد في عام 316 هـ/929 م نفسه خليفة على الأندلس، وتلقب بالناصر لدين الله، ليقوي مركزه الديني في مواجهة الدولة الفاطمية في شمال أفريقية ولمواجهة هذا الخطر حصّن الناصر الموانئ الجنوبية للأندلس، وضم موانئ المغرب المواجهة للأندلس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم البربر المعادين للفاطميين في المغرب ماديًا وعسكريًا، واستطاع عبد الرحمن الناصر لدين الله التصدي لأطماع الممالك المسيحية في الشمال وعرفت البلاد أوجها الثقافي في عهد ابنه الحكم الذي واصل سياسات أبيه، وكان عهده عهد ثقافة وعمران إلا أن الحكم المستنصر بالله أخطأ حين اختار ابنه الوحيد الطفل هشام المؤيد بالله لولاية عهده الذي استغل بعض رجال الدولة كالحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وصاحب الشرطة محمد بن أبي عامر صغر سنه وعدم قدرته على الحكم وفرضوا على الخلافة وصاية أم الخليفة صبح البشكنجية، واستأثروا هم بكل السلطات ثم انفرد محمد بن أبي عامر بكل السلطات بعد أن تخلص من كل شركائه في الحكم الواحد تلو الآخر وحجر على الخليفة الطفل، لتبقى بذلك السلطة الإسمية فقط للخليفة، والحكم الفعلي لابن أبي عامر الذي تلقب بعد ذلك بالحاجب المنصور.

استطاع الحاجب المنصور أن يؤسس دولة داخل الدولة حتى أن بعض المؤرخين سماها الدولة العامرية تميزت تلك الفترة بوجود تطور اجتماعي جديد بسيطرة البربر على المناصب القيادية في الجيش وكثرة عددهم واختفاء القيادة العربية من الجيوش واستمرت سيطرة العامريين على الحكم طوال عهد الخليفة هشام المؤيد بالله، حيث خلف الحاجب المظفر أباه المنصور عام 392 هـ في كافة سلطاته ومناصبه، ثم خلفه أخاه شنجول بعد وفاته عام 399 هـ، الذي لم يمض شهر على توليه الحجابة، حتى أجبر الخليفة على إعلانه ولاية العهد لشنجول.

نهاية الدولة : أثار ذلك حنق الأمويين في الأندلس بعد أن رأوا في ذلك اغتصاب لحقهم في حكم الأندلس، واستطاع أحد أمرائهم يدعى محمد بن هشام أن يدير انقلاباً في جمادى الأولى 399 هـ على حكم المؤيد وشنجول، ويطيح بهما من سدة الحكم، ويعلن نفسه الخليفة الجديد وحرص المهدي بالله على التنكيل بالعامريين والبربر الذين كانوا عماد جيش الحاجب المنصور، مما دعا الفتيان العامريين إلى الفرار إلى شرق الأندلس، وتأسيس إمارة في تلك الأرجاء، بينما التف البربر حول أمير أموي آخر يدعى سليمان بن الحكم الذي ثار على المهدي بالله، ونجح في اقتلاعه من منصبه وإعلان نفسه خليفة في ربيع الأول 400 هـ، لتدخل

الأندلس فترة من القلاقل تصارع فيها الأمويين والبربر والحموديين على حكم الأندلس،استمرت حتى عام 422 هـ حيث سقطت الدولة الأموية في الأندلس نهائياً، وتفتت إلى دويلات صغيرة عُرفت تاريخياً بدول الطوائف.

ملوك الطوائف هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت فى حدود عام 422 هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه وفي العقدين 1020، 1030 سقطت الخلافة بسبب ثورة الأمازيج ونشأة ملوك الطوائف الذين قسموا الدولة إلى 22 دويلة، منهم غرناطة وأشبيلية والمرية وبلنسية وطليطلة وسرقسطة والبرازين والبداجوز وبلنسية ودانية والبليار وموورور وبينما ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة، إلا أن عدم استقرار الحكم فيها والتناحر المستمر بين بعضها البعض جعل منهم فريسة لمسيحيي الشمال، ووصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك ألفونسو السادس، وكانوا يستعينون به على أخوانهم.

ممالك الطوائف وقد شهدت هذه الفترة تفكك غريب وهى كالتالى:

الفترة الأولى القرن 11

طائفة شنتمرية الشرق: 1011-1104 المرابطون

طائفة الجزيرة الخضراء: 1035-1058 إلى إشبيلية

طائفة ألمرية: 1011-1091 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة ألبونت: 1009-1106 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة أركش: 1011-1068 حتى استولى عليها بنو عباد في إشبيلية

طائفة بطليوس: 1009-1094 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة قرمونة: 1013-1091 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة سبتة: 1061-1084 إلى غرناطة

طائفة قرطبة: 1031-1091 إلى إشبيلية

طائفة دانية والجزائر الشرقية: 1012/1010-1076 حتى ضمتها طائفة سرقسطة عام 468 هـ، فيما حافظت الجزائر الشرقية على استقلالها حتى ضمها المرابطون عام 509 هـ.

طائفة غرناطة: 1013-1090 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة خيريكا: القرن th11 إلى توليدو

طائفة لشبونة: 1022 -؟ بطليوس

طائفة لوركا: 1051-1091 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة مالقة: 1026-1058/1057 حتى ضمتها مملكة غرناطة؛ 1073-1090 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة مايوركا: 1018-1203 لالموحدون

طائفة ميرطولا: 1033-1091 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة مولينا : -1100 أراجون

طائفة مورور: 1013-1066 إلى إشبيلية

طائفة مرسية: 1012/1011-1065 استقلت عن طائفة بلنسية، وحافظت على استقلالها حتى عام 481 هـ، حيث ضمتها طائفة إشبيلية.

وساجونتو : 1086-1092 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة لبلة: 1024/1023-1091 سقطت في أيدي قوات المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية عام 445 هـ.

طائفة رندة: 1065-1040/1039 ضمها المعتضد بن عباد إلى مملكة إشبيلية عام 457 هـ.

طائفة رويدا: 1130-1118 لأراجون

طائفة ولبة وجزيرة شلطيش : 1053/1051-1013/1012 ضمها المعتضد بن عباد إلى مملكة إشبيلية عام 443 هـ.

طائفة شنتمرية الغرب: 1051-1018 ضمت إلى إشبيلية

سيجوربي: 1075-1065 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة اشبيلية: 1091-1023 حتى استولى عليها المرابطون

طائفة شلب: 1063-1040 إلى إشبيلية

طائفة طليطلة: 1085-1031/1010 قشتالة

طائفة طرطوشة: 1060-1039 لسرقسطة؛ 1092-1082/1081 لطائفة دانية والجزائر الشرقية

طائفة بلنسية: 1094-1011/1010 أصبحت تابعة لقشتالة ولكن المتحالفة مع بني هود

طائفة سرقسطة: 1018-1046 إلى بني Tujib ، ثم لبني هود ؛ 1046-1110 إلى المرابطين؛ سنة 1118 إلى أراجون

الفترة الثانية القرن 12

طائفة ألمرية: 1145-1147 لفترة وجيزة إلى قشتالة ثم الموحدون

طائفة أركش: 1143 ضمت إلى الموحدون

طائفة بطليوس: 1145-1150 ضمت إلى الموحدون

البجا وإيفورا: 1114-1150 ضمت إلى الموحدون

طائفة قرمونة: التواريخ ومصير غير مؤكد أو غير معروف

قسنطينة وHornachuelos: التواريخ ومصير غير مؤكد أو غير معروف

طائفة غرناطة: 1145 ضمت إلى الموحدون

غواديكس وبازا: 1145-1151 ضمت إلى طائفة مرسية

جيان: 1145-1159 طائفة مرسية؛ 1168 ضمت إلى الموحدون

خيريز دي لا فرونتيرا: 1145 ضمت إلى الموحدون

طائفة مالقة: 1145-1153 ضمت إلى الموحدون

ميرطولا: 1144-1145 ضمت إلى بطليوس

طائفة مرسية:1145 ضمت إلى طائفة بلنسية؛ 1147-1172 الموحدون

طائفة لبلة: 1145-1150؟ ضمت إلى الموحدون

بورتشينا : التواريخ ومصير غير مؤكد أو غير معروف

طائفة رندة: 1145 ضمت إلى المرابطون

شنترين:؟ -1147 ضمت إلى البرتغال

سيجورا : 1147 -؟ مصير مجهول

شلب: 1144-1155 ضمت إلى الموحدون

تافيرا: التواريخ ومصير غير مؤكد أو غير معروف

تيخادا: 1145-1150 ضمت إلى الموحدون

طائفة بلنسية: 1145-1172 ضمت إلى الموحدون

الفترة الثالثة القرن 13

أرخونا: 1232-1244 ضمت إلى قشتالة

بايزا: 1224-1226 ضمت إلى قشتالة

طائفة سبتة: 1233-1236 ضمت إلى الموحدون، 1249-1305 ثم إلى المرينيون

طائفة دانية والجزائر الشرقية: 1224-1227 ؟ ضمت إلى الموحدون

لوركا: 1240-1265 ضمت إلى قشتالة

مينوركا: 1228-1287 ضمت إلى أراجون

طائفة مرسية: 1228-1266 ضمت إلى قشتالة

طائفة لبلة: 1234-1262 ضمت إلى قشتالة

طائفة أريولة: 1240/1239-1250/1249 ضمت إلى مرسية أو قشتالة

طائفة بلنسية: 1229/1228-1238 ضمت إلى الأراجون

بالإضافة إلى ذلك، ولكن لا تعتبر عادة من ملوك الطوائف، وهي

مملكة غرناطة: 1237-1492 ضمت إلى تاج قشتالة

openkan.com

البشرات: 1568-1571 ضمت إلى قشتالة أسبانيا

ومن ملوك الطوائف(بنو الأفطس - بنو غانية - بنو عامر - بنو عباد - بنو تجيب - بنو الأغلب - بنو رزين - بنو الصمادح - بنو ذي النون - بنو القاسم - بنو زيري - بنو جهور - - بنو حمود - بنو هود - بنو الأحمر)

موقف المتوكل على الله بن الأفطس

كان كل ملوك الطوائف الموجودون في هذه الفترة يدفعون الجزية لألفونسو السادس ومن معه إلا أمير مملكة بطليوس المتوكل بن الأفطس، كان لا يدفع جزية للنصاري، فأرسل له ألفونسو السادس رسالة شديدة اللهجة يطلب فيها منه أن يدفع الجزية كما يدفعها إخوانه من المسلمين في الممالك الإسلامية المجاورة فأرسل له رسالة يقول فيها : وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير وأحكام العزيز القدير يرعد ويبرق ويجمع تارة ثم يفرق، ويهدد بجنوده المتوافرة وأحواله المتظاهرة، ولو علم أن لله جنوداً أعز بهم الإسلام وأظهر بهم دين نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ،ولا يخافون، بالتقوى يعرفون، وبالتوبة يتضرعون، ولئن لمعت من خلف الروم بارقة فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليميز الله الخبيث

من الطيب ويعلم المنافقين، أما تعييرك للمسلمين فيما وهي من أحوالهم فبالذنوب المركومة ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك لعلمت أي مصاب أذقناك كما كانت آباؤك تتجرعه وبالأمس كانت قطيعة المنصور على سلفك لما أجبر أجدادك على دفع الجزية حتى أهدي جدك أحد بناته إليه، أما نحن إن قلت أعدادنا وعدم من المخلوقين استمدادنا فما بيننا وبينك بحر نخوضه ولا صعب نروده، ليس بيننا وبينك إلا السيوف تشهد بحدها رقاب قومك وجلاد تبصره في ليلك ونهارك وبالله وملائكته المسومين نتقوى عليك ونستعين ليس لنا سوي الله مطلب ولا لنا إلى غيره مهرب وما تتربصون بنا إلا إحدى الحسنيين نصر عليكم فيا لها من نعمة ومنة أو شهادة في سبيل الله فيا لها من جنة، وفي الله العوض مما به هددت وفرج يفرج بما نددت ويقطع بما أعددت.

وختم رسالته وأرسلها إلى ألفونسو السادس، الذي لم يستطع أن يرد، وما استطاع أن يرسل له جيشاً ليحاربه.

موقف المعتمد بن عباد

كان المعتمد بن عباد يحكم أشبيلية، وكان يدفع الجزية لألفونسو السادس ملك قشتالة، وعندما جائه ذات يوم وزير ألفونسو لأخذ الجزية، أساء الأدب مع المعتمد، وطلب بكل وقاحة، أن يسمح لزوجة ألفونسو

الحامل أن تضع مولودها في أكبر مساجد المسلمين، لأنه تم التنبؤ لها أنها إذا ولدت هناك سيدين المسلمين بالولاء لولدها فغضب المعتمد وقتل الوزير، وعندما علم ألفونسو السادس بقتل وزيره، غضب وسار إلى أشبيلية وحاصرها بجيشه، وبعث إلى المعتمد بن عباد يخبره أنه سيمكث هنا ولا يوجد ما يضايقه سوى الذباب، ويأمره أن يبعث له بمروحة ليروح بها الذباب، فلما وصلت هذة الرسالة إلى المعتمد قلبها وكتب على ظهرها : والله لئن لم ترجع لأروحن لك بمروحة من المرابطين هدد المعتمد بالأستعانة بدولة المرابطين، فخاف ألفونسو وجمع جيشه وأنصرف.

إجتماع ملوك الطوائف

فكر ملوك الطوائف في الكارثة التي توشك أن تعصف بهم وهي سقوط دولة الأندلس فقاموا بعقد اجتماع يضم كافة أمراء الأندلس وعلماء الأندلس، وأشار العلماء في ذلك الاجتماع بالجهاد، وطبعا عارض الأمراء ذلك الرأي بشدة بحجة عدم قدرتهم على الوقوف وحدهم في مواجهة القشتاليين، فأقترح العلماء مرة أخرى الأستعانة بالمرابطين، فتخوف الأمراء من ذلك الأمر لأن المرابطين دولة قوية ولو هزمت النصارى لأخذت دولة الأندلس وضمتها إلى دولة المرابطين، فتجادلوا

كثيرا حتى قام المعتمد على الله بن عباد وقال خطبة كان آخرها مقولته الشهيرة : والله لا يسمع عني أبداً أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، تالله إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعاً لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية، والله لئن أرعى الأبل في المغرب خير لي من أن أرعى الخنازير في أوروبا .

فلما انتهى من خطبته تشجع كلاً من المتوكل على الله بن الأفطس وعبد الله بن بلقين، ووافقا على الطلب من المرابطين العون لمحاربة قشتالة، وقام هؤلاء الأمراء الثلاثة بإرسال وفد مهيب من الوزراء والعلماء إلى دولة المرابطين في المغرب.

الاستنجاد بيوسف بن تاشفين

عندما وصل الوفد إلى يوسف بن تاشفين فرح بهذه الفرصة للجهاد في سبيل الله وجهز سبعة آلاف رجل وجهز السفن وعبر مضيق جبل طارق في الخميس منتصف ربيع الأول 479 هـ/ 30 يونيو 1086، ولكن في وسط المضيق ترتفع الأمواج ويهيج البحر وتكاد السفن أن تغرق فيقف ذليلاً خاشعاً يدعو ربه والناس تدعوا معه يقول: اللهم إن كنت تعلم في عبورنا هذا البحر خيراً لنا وللمسلمين فسهل علينا عبوره وإن كنت

تعلم غير ذلك فصعبه علينا حتي لا نعبره فتسكن الريح ويعبر الجيش، يدخل يوسف بن تاشفين أرض الأندلس، ويستقبله الناس أستقبال الفاتحين ويدخل إلى قرطبة ويدخل إلى أشبيلية، ثم يعبر إلى اتجاه الشمال في اتجاه مملكة قشتالة، حتى وصل إلى الزلاقة في شمال الأندلس، وعندما وصل هناك كان قد أنضم إليه من أهل الأندلس حتى وصل جيشه إلى حوالي ثلاثين ألف رجل، وهناك وقعت معركة الزلاقة.

يعلق يوسف أشباخ في كتابه تاريخ الأندلس على عهد المرابطين والموحدين على موقعة الزلاقة بقوله: إن يوسف بن تاشفين لو أراد استغلال انتصاره في موقعة الزلاقة، لربما كانت أوروبا الآن تدين بالإسلام ، ولدرس القرآن في جامعات موسكو، وبرلين، ولندن، وباريس.

والحقيقة أن المؤرخين جميعا يقفون حيارى أمام هذا الحدث التاريخي الهائل الذي وقع في سهل الزلاقة، ولم يتطور إلى أن تتقدم الجيوش الإسلامية لاسترداد طليطلة من أيدي النصارى، خاصة وأن الملك الأسباني كان قد فقد زهرة جيشه في هذه المعركة، ولا يختلف أحد في الرأي بأن الطريق كان مفتوحاً تماماً وممهداً لكي يقوم المرابطون والأندلسيون بهذه الخطوة.

ملوك الطوائف بعد الزلاقة

بعد أن عاد يوسف بن تاشفين إلى أرض المغرب، حدثت صراعات بين أمراء المؤمنين الموجودين في بلاد الأندلس على غنائم معركة الزلاقة، وعلى البلاد المحررة، فضج العلماء، وذهبوا إلى يوسف بن تاشفين يطلبون منه الدخول مرة أخرى إلى الأندلس لتخليص الشعب من هؤلاء الأمراء، فتورع يوسف بن تاشفين من محاربة المسلمين، فأتته الفتاوي من كل بلاد المسلمين، حتي جاءته من الشام من أبي حامد الغزالي صاحب الإحياء، وكان معاصراً وجاءته الفتاوي من أبي بكر الطرطوشي العالم المصري الكبير ،وجاءته الفتاوي من كل علماء المالكية في شمال أفريقية، جاءته الفتاوي إنه عليه أن يدخل إلى البلاد، ويضمها إلى دولة المرابطين حتي ينجد المسلمين مما هم فيه، ففعل ودخل في سنة 483 بعد موقعة الزلاقة التي تمت في سنة 479 بأربع سنوات، وهناك حاربه أمراء المؤمنين، وممن حاربه المعتمد بن عباد، استطاع يوسف بن تاشفين أن يضم كل بلاد الأندلس، وأيضاً يحرر سرقسطة، وضمها إلى بلاد المسلمين وأصبح يوسف بن تاشفين أميراً على دولة تصل من

شمال الأندلس بالقرب من فرنسا إلى وسط أفريقيا وبهذا انتهى عصر ملوك الطوائف الذي أمتد من سنة 422 هـ إلى سنة 479 هـ.

obeikan.com